

١ - الضياع في نهر الزمن ..

جلس (نور) و (محمود) متجاورين ، على أرضية تلك
الزنزانة الرطبة الصغيرة ، التي ألقاهما فيها رجال
(الجستابو) ، واستد كل منهم بظهره إلى جدارها الرطب ،
دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، وقد شرد كل منهما بمشاعره
وأفكاره بعيدًا ..

كان (نور) يسترجع كل ما مرَّ به وبفريقه ، منذ بدأت
رحلتهم عبر الزمن ..

لقد بدأ كل شيء في ليلة هادئة ، من ليالي القرن الحادي
والعشرين ، حينما التقى أفراد الفريق في منزل (نور) ، قبيل
منتصف الليل ، وهم يتصورون أن (نور) قد استدعاهم لمهمة
جديدة ، ثم فوجئ الجميع بأن أصحاب الاستدعاء الحقيقيين
هم زوّار فوق العادة ، من القرن الخامس والثلاثين ، أرادوا
الاستعانة بـ (نور) وفريقه ، لمطاردة رجل من القرن الخامس
والثلاثين ، يدعى الدكتور (خالد رضوان) ، قرَّع الزمن ،
وعبر العصور ، في محاولة منه لتغيير تاريخ العالم ، والسيطرة على
كوكب الأرض في كل الأزمان ، وكل الأجيال ..



سلوى

نور الدين



محمود

رمزي

وفي البداية أقنع رجال المستقبل الفريق بأنهم سيجوبون عبر
الفضاء ، حيث يقاتلون الرجل في كواكب سبيه بالأرض ،
تحيا في حقبات ماضية ، وتعيش نفس أحداث وتاريخ كوكب
الأرض ..

وبدأت المطاردة ..

بدأت في (مصر) الأهرامات ، حيث دار الصراع في
بلاط الفرعون (خوفو) ، صاحب الهرم الأكبر ..
ثم انتقل إلى (روما) ، حيث اندلع القتال حامى الوطيس
في قلعة دون (فيوناتشي) ، في القرن السادس عشر ..
وكاد الفريق يربح المعركة في (أمريكا) القرن التاسع
عشر ، حيث المسدس هو صاحب الكلمة العليا ، وحيث يعلو
صوت الرصاصات على صوت العقل ..
ولكن الشيطان (خالد رضوان) نجح في الفرار إلى عصر
جديد ..

إلى (باريس) ، في ذروة الحرب العالمية الثانية ..
والتقى (نور) وفريقه برجال المقاومة الفرنسية ،
وزعيمهم (برجيت) ، وهاجمهم رجال (الجستابو) ..
ثعالب النازية ووحوشها ، ونجحت (سلوى) في الفرار ،
ونجح (رمزي) ..

وأسر (كارل مانهايم) ، ضابط (الجستابو) ، السادي
الشرس ، (نور) و (محمود) ، وكاد يقتلها في محاولة
لانتزاع ما يتصور احتفاظهما به من معلومات ، لولا وصول
الشیطان ..

لقد أصبح الشيطان يحتل الآن مكانة رفيعة ، في جهاز
المخابرات النازي ، ويتحل اسم (فريدريش هولشتاين) ،
مدير المخابرات النازية في (أوروبا) ..
والتقى الشيطان بـ (نور) و (محمود) ، وتوصل (نور)
في ذلك اللقاء إلى استنتاج خطير مخيف ..
توصل إلى أنهم يجوبون عبر الزمن ، وليس عبر الفضاء ..
وحيثما توصل إلى ذلك الاستنتاج ، حطم (خالد رضوان)
ذلك القرص ، الذي يحمله (نور) ، والذي يُعدّ الوسيلة
الوحيدة لاستدعاء فقاعة الزمن ، والعودة إلى زمن الفريق ..
لقد أصبحوا أسرى للزمن ، الذي يحيون فيه الآن ..
ضائعين في نهر الزمن ..

مهتدين بالموت ، قبل أن تحين لحظة ميلادهم ..
والشيطان حرّ طليق ، يواصل لعبته الحقيرة لاحتلال
العالم ، واحتلال التاريخ .. (*)

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول (عبر العصور) .. المغامرة
رقم (٥٤) .. والجزء الثاني (أسرى الزمن) .. المغامرة رقم (٥٥) ..

كان غارقاً في اجترار تلك الذكريات ، متسائلاً عن مصيره
ومصير رفاقه ، بعد أن فقدوا الوسيلة الوحيدة لعودتهم إلى
عصرهم ، حينما أيقظه (محمود) من استغراقه ، وهو يسأله
في يأس :

— هل أخبرتك (سلوى) عن خطتهم لتهريتنا ؟
أوما برأسه إيجاباً في صمت ، فعاد (محمود) يسأله في
لهفة :

— ماذا سيفعلون ؟
التفت إليه (نور) ، وتطلع إلى وجهه بعينين خاليتين ،
خاويتين ، قبل أن يقول في هدوء :

— ألا تخشى وجود أجهزة نصنت هنا يا (محمود) ؟
ارتسم القلق على وجه (محمود) ، وتلفت حوله في حذر
وتوتر ، قبل أن يهمس :

— هل تظن ذلك ؟
هز (نور) كتفيه ، وهو يغمغم في شرود :

— لست أستبعده على الأقل .
سأله (محمود) في انفعال :

— ولكنك قلق أيضاً .. أليس كذلك ؟

مطاً (نور) شففيه على نحو لم يرق لـ (محمود) مطلقاً ،
قبل أن يتمم :

— بلى يا (محمود) ، ولكن قلقي لا يتعلق بخروجنا من
مذه الزنزانة الحفيرة .
سأله في توتر :

— بم يتعلق إذن ؟
زفر (نور) ، قبل أن يغمغم في صوت يخلو من الارتياح :

— بالفرار من هذا الزمن ، والعودة إلى زمننا .
اتسعت عينا (محمود) في ذعر ، وضرب الأرض
بقبضته ، وهو يهتف في سخط :

— لا يمكننا أن نبقى في هذا الزمن إلى الأبد يا (نور) .
أوما (نور) برأسه إيماءة بلا هدف ، قبل أن يقول :

— إنني أكره ذلك أيضاً يا (محمود) ، ولكن ماذا يمكننا
أن نفعل ، بعد أن حطم ذلك الحفير قرص استدعاء فقاعة
الزمن ؟

حمل صوت (محمود) كل الهلع والارتياح في أعماقه ،
وهو يهتف :

— يا إلهي !!

زفر (نور) مرة أخرى ، قبل أن يغمغم في صوت حانق
حزين :

— إنها الحقيقة يا (محمود) .. لقد كتب علينا الضياع
واكتسى صوته بغضب عميق ، قبل أن يستطرد :
— الضياع في نهر الزمن .

بدا (رمزي) وسيما ، ممشوق القوام ، وهو يرتدى زى
جنرالات النازية ، وقد صبغ شعره بلون ذهبي ، وأضاف فوق
شفتيه شاربًا مستعارًا ، من اللون نفسه ، وكان من الواضح
أنه يبذل جهدًا ضخمًا ، للسيطرة على انفعاله وتوثيره ، حينما
قالت له (برجيت) ، زعيمة المقاومة ، في حزم :

— لقد تمَّ كل شيء يا مسيو (رمزي) .. تلقى بيت
الثعالب رسالة تؤكد قيام الجنرال (فون نيشته) ، وهو أنت ،
بزيارة مقرّ (الجستابو) هذا المساء ، ولقد تأكّد (الجستابو)
من صحة الرسالة ، دون أن يدركوا أننا أيضًا أصحاب هذا
التأكيد ، وبات كل شيء معدًا لزيارتك الخاصة ، ولكن ..

صمت لحظة حينما وصلت إلى تلك الكلمة ، ثم استطردت
في صوت أشد حزمًا :

— ينبغي أن تعلم أن خطة اقتحام بيت الثعالب ستعتمد
كلها عليك ، وأى خطأ منك قد يؤدي إلى مصرع العشرات
من رجال المقاومة .

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :
— اطمئني ..

اقتربت منه (سلوى) ، وناولته ذلك المسدس الليزري ،
الذي يشبه أسلحة الغرب القديمة ، وهي تقول في اضطراب
واضح :

— خذ هذا .. أعتقد أنه سيفيدك كثيرًا .
وعجزت عن كتمان مشاعرها ، فاغرورقت عيناها
بالدموع ، وهي تستطرد :

— حاول أن تنقذ (نور) و (محمود) يا (رمزي) ..
ابدل أقصى جهدك بالله عليك .

سرت في جسده موجة من التوثر ، وهو يغمغم :
— سأفعل يا (سلوى) .. سأفعل بإذن الله .

داخل حجرة صغيرة ، في فندق متواضع ، يطل مباشرة على
بيت الثعالب ، زجر (هملر) ، القائد الأعلى لقوات



قاطعته (خالد رضوان) في هدوء ، وهو يتطلع عبر نافذة الحجرة ، إلى بيت الثعالب ، في انتباه واهتمام ..

(الجستابو) ، في مزيج من السخط والاستكار ، وهو يقول
محدثًا :

— لست أفهمك يا عزيزي (فريدريش) !... حقيقة
لست أفهمك ؟ .. إنك تتصرف على نحو غامض منذ صباح
أمس ، لماذا كان إصرارك على أن تأتي من (برلين) إلى
(باريس) سرًا ؟ .. ولماذا تصرّ على أن نقيم معًا في هذه الحجرة
الحقيرة ؟ .. لقد اعتدت أن أنزل في أفخر الفنادق ، في
كل الدول التي احتلها جيش الرايخ و...

قاطعته (خالد رضوان) في هدوء ، وهو يتطلع عبر نافذة
الحجرة ، إلى بيت الثعالب ، في انتباه واهتمام :

— ينبغي للقائد الناجح أن يدير معركته من قلبها يا عزيزي

(هملر) .

هتف (هملر) في سخط :

— أية معركة يا (فريدريش) ؟ !... إنهم رجال المقاومة

. الفرنسية فحسب !

ابتسم (خالد) ابتسامة ساخرة ، لم يلمحها (هملر) ،

وهو يقول :

— الذين نحاربهم هذه المرة ليسوا مجرد رجال مقاومة

عاديّين يا (هملر) .. إنهم أخطر رجال المقاومة على الإطلاق ،
والقضاء عليهم مجتمعين قد يؤدّي إلى تغيير نتائج الحرب تمامًا .

غمغم (هملر) في دهشة :

— إلى هذا الحد؟! —

أوماً (خالد) برأسه إيجابًا في هدوء ، وقال :

— إلى هذا الحد يا (هملر) ..

ثم التفت إليه مستطرّدًا :

— ألم تسأل نفسك لماذا لم أصدر أوامري بإعدام الرجلين ،

اللذين يحفظ بهما (كارل) في بيت الثعالب ، على الفور؟ ..

لقد احتفظت بهما لأجعل منهما فحًا ، يوقع بالرجل والمرأة

الآخرين ، بحيث نجمع البيض كله في سلة واحدة ، ثم ننسفه

نفسًا .

زجر (هملر) ، وهو يقول في حِدّة :

— كان يمكننا أن نعدم الرجلين ، دون أن نعلن ذلك .

هزُّ (خالد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كان الآخرون سيعلمان يا (هملر) .

هتف (هملر) في سخط :

— كيف يا (فريدريش)؟ .. كيف؟

ارتسمت الابتسامة الساخرة مرّة أخرى ، على شفّتي
(خالد) ، وهو يجيب :

— لن يمكنك أن تتصوّر مدى الوسائل المتقدّمة ، التي

يملكها هؤلاء الأربعة يا عزيزي (هملر) ..

ولكنّي أعلم ذلك علم اليقين .. امنحني ثقتك فحسب .

لوح (هملر) بذراعيه ، وهو يهتف .

— وماذا يمكن للرجل والمرأة أن يفعلوا؟

أجابه (خالد) في صرامة :

— سيحاولان اقتحام بيت الثعالب ، لإنقاذ رفيقهما

يا (هملر) .

غمغم (هملر) في حِدّة :

— سيعنى هذا أن الأربعة مصابون بالجنون المطبق .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يجيب :

— وهو كذلك يا (هملر) .

لم يكذبتم عبارته حتى صك مسامعه صوت درّاجات النازي

البخارية ، وهي تقبل من بعيد ، فأدار عينيه إلى النافذة في شغف

وترقّب ، ورأى الدرّاجات البخارية تتوقّف أمام بيت

الثعالب ، وعلى متنها رجال المقاومة الفرنسيّة ، في زى جنود

٢ - في بيت الثعالب ..

استقبل (كارل مانهايم) (رمزي) في احترام ، ومدَّ يده عن آخرها أمام جسده ، وهو يهتف بالتحية العسكرية الألمانية :

— هاييل هتيلر .

أجابه (رمزي) بتحية مماثلة ، ثم حدَّجه بنظرة باردة ، وهو يقول بألمانية سليمة :

— أرجو أن يكون كل شيء على ما يرام هنا يا (كارل) .
اعتدل (كارل) في وقفة عسكرية صارمة ، وشمخ بأنفه ، وهو يجيب :

— كل شيء على ما يرام يا جنرال (فون نيشته) .
دار (رمزي) بعينه في أرجاء المكان في بطاء ، وهو يقول :

— وماذا عن إجراءات الأمن ؟

أجابه (كارل) في ثقة وحزم :

— لا يمكن للذباب أن تدخل هذا المكان ، دون موافقتنا يا سيدي .

الجيش النازي ، وبينهم سيارة تحمل علم ألمانيا الهتلرية ، هبط منها (رمزي) ، في زي جنرالات النازية ، وتقدَّم نحو مدخل بيت الثعالب في خطوات رشيقة ثابتة ، فتألقت عينا (خالد) ، وهو يقول في مزيج من الظفر والشماتة والانفعال :

— لقد اجتمع البيض كله في السلة يا عزيزي (هملمر) ..
مز رجالك ببدء الخطة ..

وأردف في صوت خفيض ، وبلغة عربية :

— لقد انتصرنا على رجال القرن الحادي والعشرين ، في معركة الزمن .



أوماً (رمزي) برأسه في هدوء ، ولكنه لم ينجح في إخفاء تلك اللفظة ، التي ملأت صوته ، وهو يسأله :
— وماذا عن الأسيرين ؟

عقد (كارل) حاجبيه في رية ، وهو يقول :
— أي أسيرين يا سيدي الجنرال ؟

تظاهر (رمزي) باللامبالاة ، وهو يقول :

— لقد وصلني أنك قد أوقعت باثنين من زعماء المقاومة الفرنسية .. أليس كذلك ؟

حدّجه (كارل) بنظرة طويلة مُستريّة ، قبل أن يفهم :
— بلى .. هذا صحيح يا سيدي .

عادت اللفظة تتسلّل إلى صوت (رمزي) ، وهو يسأله :
— أين هما ؟

مرّة أخرى حدّجه (كارل) بنظرة مُستريّة ، ثم أجاب :
— هنا .. ماذا يريد منهما سيدي الجنرال ؟

أجابه (رمزي) في صوت ، مَلأه بكل ما يملك من حزم وصرامة :

— لقد أتيت لاصطحبهما ، إلى حيث يتم استجوابهما مرّة أخرى .

ارتفع حاجبا (كارل) في دهشة ، ثم عقدهما بكل ما يملك كيانه من سخط وريبة ، وقال في صرامة :

— لم يحدث هذا أبداً من قبل يا سيدي الجنرال هتف به (رمزي) في حدّة :

— سيحدث الآن يا (كارل مانهايم) .

عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وانتصب في صرامة ، وهو يقول في حزم غاضب :

— يؤسفني أن الجواب هو كلاً يا سيدي الجنرال .. إن أسرى (الجستابو) هم لـ (الجستابو) وخدمهم .. هكذا أمرنا قائدنا (هملر) .

صاح به (رمزي) في غضب :

— ولكنني أمرك أيها ال ..

قاطعته (كارل) في صرامة :

— لست أتلقّى الأوامر سوى من الجنرال (هملر)

يا جنرال (فون نيشتة) — قد أسمح لك باستجوابهما ، بصفتك أحد رجال المخابرات الألمانية ، ولكن داخل مقرنا ..

أما اصطحابهما إلى الخارج ، فهو المستحيل بعينه .

عقد (رمزي) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

— هل تجرؤ أيها ال .. ؟

قاطعه (كارل) في جِدَّة :

— هكذا تقضى أوامر الجنرال (هتلر) يا سيدي .

خفق قلب (رمزي) في شدة بين ضلوعه ..

كان من الواضح أن (كارل) هذا ضابط (چستابو)

مثالي ..

شديد الاعتزاز والفخر بسلاحه ..

شديد الصرامة والحزم فيما يتعلق بأوامر قائده ..

وران الصمت طويلاً على حجرة (كارل مانهايم) ، وهو

يتبادل مع (رمزي) نظرات صارمة حازمة ، قبل أن يعود إلى

صوت (رمزي) هدوءه ، وهو يقول :

— لا بأس يا (كارل) .. هناك وسيلة أخرى للتفاهم .

وفجأة كان مسدسه الليزري مصوّباً إلى رأس (كارل

مانهايم) ، وهو يستطرد في حزم :

— هذه .

اتسعت عينا (كارل) في دهشة واستكار ، وهو يهتف :

— ماذا تفعل بحق الشيطان ؟ .. هل تصوّب مسدّسك إلى

ضابط (چستابو) ؟

وامتلاً صوته بالغضب والسخط ، وهو يستطرد :

— داخل بيت الثعالب ؟

أجابه (رمزي) في خشونة :

— يروق لي أن أفعل أيها الوغد .. هيا .. ستقودني إلى

الأسيرين ، وتتنازل عنهما لي برغم أنفك .

عقد (كارل) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

— لو أنك تظن أنني سأفعل ، فأنت واهم و ..

قاطعه (رمزي) في مزيج عجيب من الانفعال والسخرية :

— مهلاً قبل أن تتبجّح يا رجل (اچستابو) .. إن هذا

المسدّس المصوّب إلى رأسك ليس مسدّساً عادياً .

ثم أدار فؤّهة مسدّسه إلى تمثال صغير ، يمثل (هتلر) ،

وضغط زناده ..

واتسعت عينا (كارل) في خليط من الرُغب والذهول ،

حينما شاهد خيط أشعة الليزر ، الذي انطلق من فؤّهة المسدّس ،

وأذاب التمثال كلّهُ في لحظة ، وتراجع في دعر هائل ، وجحظت

عيناها ، وهو يحدّق في فؤّهة المسدّس ، مغمغماً :

— أي سلاح شيطاني هذا ؟

أجابه (رمزي) في سخرية :

— إنه سلاح من أعماق الجحيم يا (كارل مانهايم) ، ولو

نفذت أشعته عبر جمجمتك ، ستعاني آلامًا مبرحة ، لا حصر لها ، وسيذوب مخك رويدًا رويدًا ، وتشتعل أعضاؤك كما لو أنك داخل قدر نحاسي ، في فرن حراري رهيب .. هل تميل إلى تجربة ذلك يا (كارل) ؟

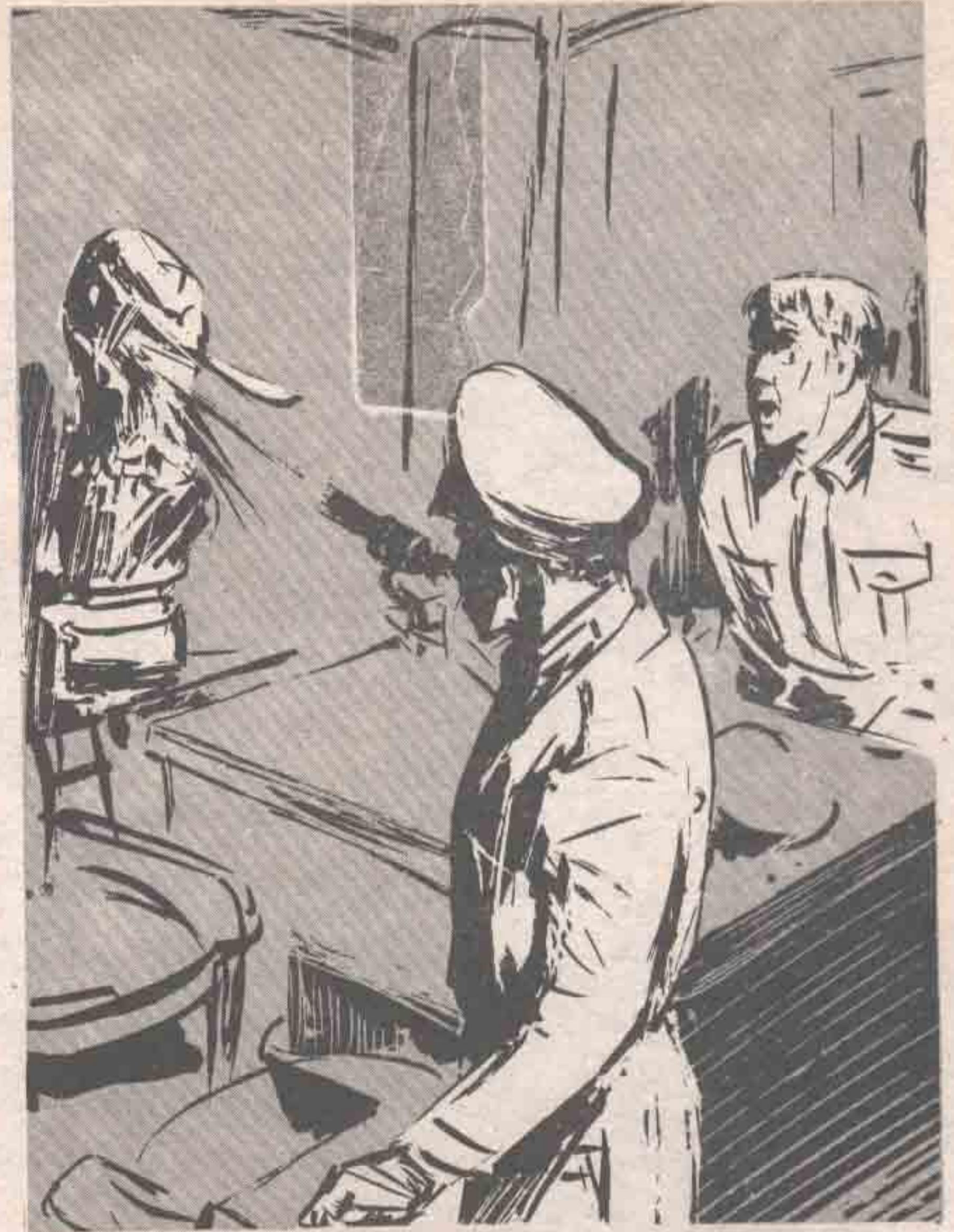
كان (رمزي) يعلم أن قوله يخالف حقيقة مفعول أشعة الليزر تمامًا ، ولكنه كان يستغل خبرته في الطب النفسي للإيقاع بقلب (كارل) ، وبث الرعب في أعماقه ، ليستسلم لرغباته تمامًا ..

ولقد نجح ..

لقد ظل (كارل) يحدق في فوهة مسدس الليزر في رُعب هائل ، ثم لم يلبث أن غمغم في مرارة :
— لماذا تريد الأسيرين ؟

أجابه (رمزي) في صرامة :
— هذا شأني .

حاول (كارل) أن يستجمع شجاعته ؛ ليرفض الانصياع لمطلب (رمزي) ، إلا أن مشهد التمثال ، الذي أذابته أشعة الليزر ، ظل يلح على عقله ، فانفجرت شفتاه ، دون أن يفوه بحرف واحد ، ثم لم يلبث أن أحنى رأسه ، وهو يغمغم في استسلام :



ثم أدار فوهة مسدسه إلى تمثال صغير ، يمثل (هتلر) ،
وضغط زناده ..

صاح (رمزي) (نور) و (محمود) في حرارة ،
وتهللت أسارير الثلاثة بفرحة اللقاء ، وهتف (نور) في مرح ،
وباللغة العربية :

— رائع يا عزيزي (رمزي) .. لقد كنت بطلا هذه
المرّة .

أشار (رمزي) إلى (كارل) ، وحارسي الزنزانة ، وقد
وقف الثلاثة يميّزون غضبا ، وقال مبتسما :

— من حسن الحظ أن صديقنا (كارل) قد استسلم في
سرعة .

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

— هذا طبيعي أمام خبير بالطب النفسي مثلك يا عزيزي
(رمزي) .

عقد (كارل) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— بأية لغة تتحدّثون ؟

أجابه (نور) في سخرية ، بالألمانية :

— بلغة المستقبل يا عزيزي (كارل) .

زجر (كارل) ، وهو يقول في عصبية :

— إن مفادرة الزنزانة أمر سهل ، ولكنكم لن تغادروا بيت
الضالع أحياء أبدا .

أجابه (رمزي) ساخرا .

— هل تظن ذلك ؟

صاح (كارل) في حدّة :

— بل أوقن مما أقول .. إن أوامرنا في (الجستابو) شديدة

الصرامة .. فحتى لو أسرتموني ، وحاولتم الفرار من هنا ،

اعتمادا على ذلك ، سيطلق رجال النار علينا جميعا .. سيقتلونني

معكم لو اقضى الأمر ، ولكنهم لن يسمحوا لكم بالفرار أبدا .

تبادل (نور) و (رمزي) و (محمود) نظرات قلقة ،

ثم انحنى (نور) ، والتقط أحد مدفعي الحارسين ، ونهض

قائلا :

— ومن قال إننا سنفرّ يا عزيزي (كارل) .. لقد دخل

(رمزي) إلى هنا كزائر ، وسيغادر المكان على نفس النحو .

عبر (رمزي) ردهات بيت الضالع في خطوات هادئة ،

متأبطا ساعدا (كارل) ، الذي لم ينجح في إخفاء الحنق

المرتسم على وجهه في وضوح ، وخلفهما سار (نور)
و (محمود) في زنى حارسين من رجال (الجستابو) ، وكل
منهم يحمل مدفعا رشاشا ، في حين علا صوت (رمزي) ، وهو
يقول في صرامة جنرالات الألمان :

— كل شيء على ما يرام يا (كارل) ، ولكنني أرجو أن
أجد الأمور أفضل في زيارتي القادمة .

قال هذا ، وضغط مسدسه الليزري في جنب (كارل) ،
الذي ضغط أسنانه في غيظ ، وهو يغمغم :

— دعنا نأمل ذلك يا .. يا جنرال (فون نيشته) .
كان الجميع يسرون في هدوء نحو مخرج بيت الثعالب ،
ورجال (الجستابو) يفسحون لهم الطريق في احترام ، وهم
يؤدون التحية العسكرية ، حتى بلغ الجميع باب مقر
(الجستابو) ، فغمغم (كارل) في سخط :

— سيكون من سوء حظك أن نلتقى مرة ثانية ، أيها
الجنرال الزائف ، فلن أتردد في قتلك حينذاك .

ابتسم (رمزي) في سخرية ، وهو يقول :

— مَنْ يَدْرِي ؟ .. ربما تكون قد بلغت من العمر أزدله ،
حينما نلتقى في المرة القادمة يا عزيزي (كارل) و

كان ينطق عبارته هذه ، وهم يغادرون المبنى ، ولقد بترها
بغته ، وهو يحدق في المئهد العجيب ، الذي ينتظره ..
لقد كان رجال (الجستابو) يحيطون بالمكان ، وقد أسروا
كل رجال المقاومة ، الذين يتحللون شخصية جنود النازية ،
وتهللت أسارير (كارل) ، في حين ارتسمت الدهشة على
وجوه (نور) و (رمزي) و (محمود) ؛ أمام ذلك السيل
من قوّهات المدافع الرشاشة ، المصوّبة إلى صدورهم ، ورأوا
(هملر) يجلس في هدوء ، داخل سيارة مصفحة ، ترفع على
مقدمتها علم النازية ، ذا الصليب المعقوف ، ويدسّ بين شفثيه
سيجارا ضخما ، وهو يقول في صرامة :

— انتهت اللعبة أيها السادة ، لا أحد يغادر بيت الثعالب
حيًا .



« عملية فاشلة .. »

هكذا هتفت (برجيت) في خنق ، وهي تومي بسبابتها في وجه (سلوى) ، الشاحب المتقع ، قبل أن تستطرد في غضب :

— لقد كان رجال (الجتابو) على علم بكل ما فعلنا .. لقد أعدوا خطتهم لاقتصاص الجميع ، وبدلاً من أن نخرج رفيقك ، فقدنا رفيقك الثالث ، وعشرة من رجالنا . انتفض قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وهي تقول في لوعة : — هناك خائن إذن بين الصفوف ، لارب في ذلك . تبادل رجال المقاومة الفرنسية نظرات الغضب والاستكار ، ثم انبرى (آلان) ، أحد قادتهم ، قائلاً في جدة :

— إننى أوافق هذه المرّة .. هناك خائن بين الصفوف ، وهذا الخائن هو ..

وحدجها بنظرة قاسية صارمة ، قبل أن يستطرد : — أنت .

هتفت (سلوى) في دهشة وذعر :

— أنا ؟!

صاح في وجهها غاضباً :

— نعم .. أنت .. أنت ورفاقتك جواسيس وخونة .. كل شيء يؤكد ذلك .

ولوح بذراعيه ، وهو يستطرد ، موجّها حديثه إلى رفاقه :

— راجعوا معي كل ما حدث ، وستجدون أننى على حق ..

لقد امتلأت (باريس) بصور هذه الفتاة ورفاقها

الثلاثة لعام كامل ، دون أن يدري أحد لماذا يطالب النازيون

برءوسهم ، ثم ظهروا فجأة ، بلا ماض .. بلا تاريخ ، ومنذ

ظهورهم بدأت الهزائم تتوالى في مرارة .. كشف (الجتابو)

مقرنا في حانة (جان بول) ، واقتحموه ، وقتلوا (جان) ،

وتظاهروا بأسر رفيقى هذه الخائنة ، ثم اقترحت هي وزميلها

وسيلة لإنقاذ رفيقها ، وأقنعتا بمعاونتهما ، وبعدها تفشل

الخطة ، ونفقد عشرة من رجالنا ، هل لديكم تفسير آخر لكل

هذا ، سوى أنها ورفاقها مجرد خونة ؟

غمغمت (برجيت) ، وهي ترمق (سلوى) بنظرة

صارمة غاضبة :

— كلاً يا (آلان) .. لا يوجد تفسير آخر .

صاحت (سلوى) في ارتياح :

— ولكننا كنا نسعى لمعاونتكم بالفعل .. ألم ألتقط لكم
الموجة السريّة لبيت الثعالب ؟ .. ألم يحاول (رمزى)
معاونتكم ، مضحياً ، بحياته ؟

صاح (آلان) غاضباً :

— وَمَنْ أذراننا أن كل هذا حقيقى؟! .. لقد صنعت جهازاً
لم نر مثله من قبل ، وربما كان مجرد لعبة ، لإيهامنا بأنك خبيرة
إليكترونيات ، ومن أذراننا أن زميلك كان يضحى بحياته
بالفعل ، وليس مجرد ممثل بارع ، أراد أن يوقع بنا جميعاً ؟
واستطرد في حزم ساخط :

— أنت وأمثالك تعملون على أن تنتصر النازية ، وهذا ما
لن يحدث أبداً .

صاحت (سلوى) :

— ولكن النازية لن تنتصر .. سيتغير مسار الحرب في
الثلوج الروسية ، وستبدأ هناك هزائم الألمان ، وسيخسر
(هتلر) نصف جيشه في انسحابه ، وسيهبط الحلفاء هنا ،
ويحررون (باريس) و

قاطعها غاضباً :

— هل ستدعين القدرة على التنبؤ بالمستقبل أيضاً ؟

صاحت في مرارة :

— إننى لا أدعى شيئاً .. إن ما ذكرته لكم مجرد تاريخ .
حدّق الجميع في وجهها بدهشة ، ثم لوّحت (برجيت)

بذراعها في غضب ، وصاحت :

— أى هراء هذا ؟ .. التاريخ هو جزء من الماضى ، ولكنك

تتحدثين عن نبوءات مستقبلية عجيبة !!

شحب وجه (سلوى) ، وهى تنقل بصرها بين العيون

الغاضبة ، والوجوه الساخطة المستكبرة ، ثم أطرقت برأسها .

وهى تقول في مرارة :

— حسناً أيها السادة .. سأخبركم بالقصة كلها .. أعلم

أنكم لن تصدّقوا حرفاً واحداً مما سأقول ، ولكننى سأخبركم ..

أقسم أننى سأخبركم بالحقيقة . الحقيقة فقط .

عقد (هملر) - 'جيه في غضب ، وهو يواجه (كارل

مانهايم) فى - بحرة مكتبه الفاخرة ، فى بلدية (باريس) ،

وأشار إلى (نور) و (رمزى) و (محمود) ، الذين يقفون

في حراسة خمسة من الجنود المدججين بالسلاح ، في ركن المكتب ، وهتف ساخطاً :

— لقد خدعوك يا (كارل) .. يا للعار !!.. خدعوا واحداً كنت أعتبره من أفضل رجال (الجستابو) .

غمغم (كارل) في توثر :

— لقد خدعوا إجراءات الأمن يا سيدي الجنرال ، وليس ..

صاح به (هملر) مقاطعاً :

— لا تتحجج بإجراءات الأمن يا (كارل) .. لقد كان ينبغي أن تتحقق من شخصية هذا الجنرال الزائف ، قبل أن

تسمح له بدخول بيت الثعالب .

غمغم (كارل) في اضطراب :

— جرت العادة يا سيدي الجنرال ألا ..

عاد (هملر) يقاطعه في صوت هادر :

— أية عادة يا ضابط (الجستابو) ؟ .. هناك القانون ..

قانون (الجستابو) الذي لا يرحم .

أطرق (كارل) برأسه ساخطاً ، أقرب إلى الانفجار ، في حين تابع (هملر) في حنق :

— ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو لم أهرغ إلى هنا ، تاركاً (الفوهلر) في (برلين) ؛ لأمنع تلك الكارثة ؟ .. كانت هيبة (الجستابو) كلها ستتهار ، وكنا ستحوّل إلى مهزلة .

غمغم (كارل) في يأس :

— ولكن يا سيدي ..

قاطعه مرة أخرى في ثورة :

— كفى يا (كارل) .

وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتجه إلى مكتبه ، مستطرداً في صرامة :

— لقد وقعت أمر نقلك يا (كارل) .

وجلس خلف مكتبه ، وبسط راحتيه فوقه ، وازداد انعقاد حاجبية ، وهو يردف في غلظة :

— إلى الجبهة السوفيتية .

شحب وجه (كارل) ، واتسعت عيناه في ذعر ، ثم لم يلبث أن أدّى التحية النازية ، وهو يقول :

— كما تأمر يا سيدي الجنرال .

أشار إليه (هملر) أن ينصرف في ازدراء ، فدار (كارل) على عقبيه ، ورمق (نور) ورفيقه بنظرة صارمة ساخطة ، ثم غادر الحجرة في خطوات سريعة ..

والتفت (هملر) إلى أبطالنا الثلاثة ، وهو يقول في

غضب :

— والآن ماذا نفعل بكم ؟

وتركزت عيناه على وجه (رمزي) ، وهو يستطرد في

صرامة :

— هل تعلم عقوبة من يتحلل شخصية جنرال ألماني يا فتى ؟

أجابه (رمزي) في توثر :

— نعم .. أعلم .

ضرب (هملر) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصرخ :

— الإعدام يا فتى .. الإعدام بلا رحمة .

غمغم (نور) في هدوء ، دون أن يعد عينه عن وجه

(هملر) الغاضب :

— هل تذكر ما فعلناه في بلاط (خوفو) يا (رمزي) ؟

غمغم (رمزي) :

— ماذا تعني ؟

أجابه في هدوء :

— لقد فشلت القوة في إنقاذنا ، ولم يعد هناك من سبيل

سوى عينيك ، وبراعتك في التويم المغناطيسي يا صديقي .

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— لقد فهمت .

دوى صوت (هملر) ، وهو يصرخ في غضب :

— لا حق للأسرى في تبادل الحديث .

اعتدل (رمزي) ، وهو يقول :

— لدى ما أحب أن أخبرك به يا سيدي .

عقد (هملر) حاجبيه في ريبة ، وشبك أصابع كفيه أمام

وجهه ، وهو يغمغم :

— هيا يا فتى .. تكلم .

أشار (رمزي) إلى رفيقيه ، وقال :

— ليس أمام هذين .

عاد (هملر) يضرب سطح مكتبه بقبضته في غضب ، وهو

يهتف :

— قلت لك تكلم .

تنهّد (رمزي) ، وهو يقول :

— هل فحصت سلاحى الخاص يا سيدي الجنرال ؟

غمغم (هملر) في انفعال :

— أى سلاح خاص ؟

أشار (رمزي) إلى مسدسه الليزري ، الذي يستقر أمام
(هملر) ، على سطح مكتبه ، وقال في هدوء :
— هذا .. إنه ليس مسدسًا عاديًا كما يبدو .

التقط (هملر) المسدس ، وفحصه في عناية ، ثم مطّ شفتيه
مغمغماً في ازدراء :

— بالتأكيد .. إنه مسدس بدائي الصنع ، ضعيف .

ابتسم (رمزي) ، وهو يقول :

— هلاً صوّبتَه إذن إلى أي هدف يجلو لك ، وأطلقتَه ؟

رمقه (هملر) بنظرة مستريّة ، وقلّب المسدس في راحته

بمخدر ، ثم صوّبه إلى لوحة معلقة على جدار مكتبه ، وهو
يغمغم :

— ماذا سيفعل ؟ .. هل سيصدر دويًا أكبر ؟

ولكنه لم يكذب يضغط زناد المسدس ، ويرى شعاع الليزر

الذي انطلق منه ، والذي أذاب إطار اللوحة في لحظة ، حتى

اتسعت عيناه في ذعر وذهول ، وألقى المسدس جافلاً ، وهو

يهتف :

— أي سلاح هذا ؟

أجابَه (رمزي) في هدوء :

— إنه مجرد تجربة لسلاح مخيف ، ينوي الأمريكيون إنتاجه

هذه الأيام ، ليضمنوا النصر في الحرب يا سيدي الجنرال .

تحسّس (هملر) السلاح في انفعال وهلّة ، ثم هتف :

— ولكنك تحمل سِرّه .. أليس كذلك ؟

أوماً (رمزي) برأسه إيجابًا ، وقال :

— بلى .. ولكنني لن أخبر به سواك يا جنرال .

صاح (هملر) في وجه حراسه الخمسة في انفعال :

— أخرجوا الأسيرين الآخرين .. هيا .. بسرعة .

ثم عاوده خذّره ، فاستدرك في حزم :

— وليتق حارسان لمراقبة هذا الرجل .

وقف (رمزي) ثابتًا ، حتى أخرج الحراس الثلاثة (نور)

و (محمود) من الحجرة ، وسأله (هملر) في انفعال :

— حسنًا .. ما سرُّ هذا السلاح الشيطاني ؟

غمغم (رمزي) :

— هل لي أن أهمس لك به يا سيدي الجنرال ؟

صاح (هملر) في انفعال :

— بالتأكيد .

ثم أسرع يستدرك :



تطلع (رمزي) إلى عيني قائد (الجستابو) مباشرة ، ولخيل
للرجل ، الذي امتلأ التاريخ بالروايات الخيفة عنه ، أن عيني
(رمزي) تشعان ببريق عجيب ..

— ولكن الحارسين سيمطرانك بالرصاص ، لو لجأت إلى
أية خدعة .

ابتسم (رمزي) ، وهو يقول في هدوء :

— بالتأكيد يا جنرال .

نهض (هملر) من خلف مكتبه ، وحدث في عيني
(رمزي) ، وهو يقول في لهفة :

— هات ما لديك .

تطلع (رمزي) إلى عيني قائد (الجستابو) مباشرة ،
وخيل للرجل ، الذي امتلأ التاريخ بالروايات الخيفة عنه ، أن
عيني (رمزي) تشعان ببريق عجيب ، وأنها تتسعان
وتسعان ، وخيل إليه أن صوت (رمزي) يأتي من بحر
سحيقة ، وهو يقول في هدوء :

— من الخطأ أن يلقي (الجستابو) القبض علينا
يا جنرال .. أليس كذلك ؟

تحجرت عينا (هملر) ، وهو يغمغم في شرود :
— بالتأكيد .

عاد (رمزي) يقول بصوته العميق ، الذي يتسلل في
أعمق أعماق زعيم (الجستابو) :

— إنا أصدقاء ، ونعمل لحساب الراجح الثالث ، والقبض علينا لم يكن سوى خدعة ، لإقناع رجال المقاومة بحسن نوايانا ، ولكنك ستأمر بإطلاق سراحنا فوراً ، وستعيد إلى مسدسي .

عاد (هملر) يغمغم في شروود :

— بالتأكيد .

ازداد بريق عيني (رمزي) ، وازداد اتساعهما ، وبدأ صوته أكثر عمقا ، وهو يقول :

— أخبر حراسك بذلك إذن .

أدار (هملر) عينيه إلى الحارسين ، وقال في شروود العجيب :

— من الخطأ أن نلقى القبض على هؤلاء الثلاثة .. إنهم أصدقاء ، يعملون لحسابنا ، ولم يكن القبض عليهم سوى خدعة ؛ لإقناع رجال المقاومة بحسن نواياهم ، وأنا أمركم بإطلاق سراحهم ؛ وإعادة ذلك السلاح الرهيب إليهم .
وبلا تفكير أو اعتراض ، أسرع الحارسان بحلان وثاق (رمزي) ، ويعيدان إليه مسدس الليزر ، فالتقطه في ارتياح ، والتفت يتطلع إلى عيني (هملر) ، وهو يقول :

— والآن أبلغ هذا للجميع ، ودعني أنصرف مع رفيقي .
وفجأة دوى صوت صارم غاضب يقول :

— على جثي أيها الطيب النفسي !!

وفي ركن الحجرة ، وأمام باب جانبي وقف الجنرال (فريد ريش هولشتاين) غاضبا ، يصوب مسدسه إلى (رمزي) ..

ولم يكن ذلك الجنرال سوى شيطان الأجيال (خالد رضوان) ..

باسل

www.dvd4arab.com



٤ — الخروج من الجحيم ..

حدّق (آلان) و (برجيت) ، وبقى رجال المقاومة الفرنسية ، في وجه (سلوى) ، بمزيج من الدهشة والاستكار والشك ، قبل أن تغمغم (برجيت) :

— المستقبل؟! .. أى هراء هذا الذى تقصين يا (سلوى) ؟ .. إن قصتك هذه المرّة تتجاوز كل خيال زفرت (سلوى) ، وهى تقول فى يأس :

— ولكنها الحقيقة .. لقد أتيت أنا ورفاقى من المستقبل .. من القرن الحادى والعشرين ، لنطارد (فريدريش هولدشتاين) ، الذى هو فى الواقع أحد رجال القرن الخامس والثلاثين و.....

صاح (آلان) فى صرامة :

— كفى !!

ثم التفت إلى رجال المقاومة ، مستطرّدًا فى حدّة :

— هل يصدّق أحدكم قصتها ؟

هزّوا رءوسهم نفيًا فى بطاء ، فاستدار إلى (سلوى) ،

وحدجها بنظرة قاسية ، جهدت لها الدماء فى عروقها ، قبل أن تهتف :

— اسمعوا .. إن ما أخبرتكم به هو الحقيقة الخالصة . ثم أشارت إلى الجهاز الذى صنّعه ، لالتقاط موجة بيت الثعالب السريّة ، وهى تستطرد :

— هل يمكن لأحدكم أن يصنع مثل هذا ؟ .. إنه اختراع فائق متطوّر بالنسبة لكم ، ولكنه مجرد لعبة أطفال فى العصر ، الذى أتيت منه .

هتف (آلان) :

— وما أدراك أن هذا الشىء معجزة تكنولوجية حقيقية ؟

قفزت إلى جهازها ، وهى تقول فى انفعال :

— أية موجة تحب أن تلتقط ؟ .. انظر .

أدارت مؤشر جهازها فى عصبية ، فتعالت من الجهاز

أصوات يابانية ، ثم أدارته مرّة أخرى ، فأصدر أصواتًا

روسية ، وهتفت فى حنق :

— هل يوجد جهاز واحد فى هذا العصر ، يمكنه أن يلتقط

موجات قارّة أخرى ، بهذا الوضوح ؟

عقدت (برجيت) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

— هذا ليس دليلاً على صحة قصيتك .

صاحت (سلوى) في مرارة :

— أى دليل تنشدون إذن ؟

تبادل الجميع نظرات الخيرة ، ثم قال (آلان) في جدّة :

— أى دليل يمكنك تقديمه ؟

قلبت كفيها في يأس ، وهى تغمغم :

— كل ما لدى هو تاريخنا ، الذى هو مستقبلكم ، الذى

لن نرؤوه و ...

وفجأة بترت عبارتها ، وتألقت عيناها ، وهى تهتف :

— نعم .. سترونه .. سأقدم لكم الدليل فوق شاشة

فضية .

وتهللت أساريرها ، وهى تستطرد فى ارتياح :

— فوق شاشة ما ستطلقون عليه يوماً اسم (التلفزيون) .

تقدّم (خالد رضوان) نحو (رمزى) ، عبر مكتب

(هملى) الواسع ، وهو يصوب إليه مسدسه ، قائلاً فى غضب

وصرامة :

— لقد سيطرت عليه بالتويم المغناطيسى .. أليس

كذلك ؟

نقل الحارسان بصريهما بين (هملى) ، الذى بدا شاردًا ،

وبين (رمزى) و (خالد) ، وارتسمت الخيرة على

وجهيهما ، فى حين أجاب (رمزى) فى صرامة :

— بلى .. إنه أحد الأساليب التى طوّرتها التكنولوجيا كما

تعلم .

مطّ (خالد) شفّيته ، وهو يقول فى صرامة :

— لقد قرأت ذلك فى كتب التاريخ ، بعد أربعة عشر قرناً

من مولدك يا فتى .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى غضب :

— ولكن مصرعك ومصرع رفاقك سيسبق مولدكم ..

راه (رمزى) يجذب إبرة مسدسه ، فالتفت إلى (هملى) ،

وقال فى توثر :

— ما قولك يا قائد (اچستابو) ؟

ظلّ (هملى) صامتًا شاردًا ، وابتسم (خالد) فى شراسة ،

وهو يقول :

— لا فائدة .. أنت بنفسك انتزعته من عالم الوغى .

تجاهله (رمزي) ، وهو يحدق في عيني (هملر) ، قائلاً
في بطاء وعمق وهدوء :

— ولكنه يعلم أننا أصدقاء ، وسيمنع أى شخص من أن
يمسنا بسوء ، حتى لو كان أنت يا جنرال (فريدريش) ..
أليس كذلك يا (هملر) ؟

غمغم (هملر) :
— بالتأكيد .. لا أحد يمسككم بسوء .

أدرك (خالد) ما يرمى إليه (رمزي) ؛ فهتف في
غضب :

— لن أسمح لك .
ولكن حارسا (هملر) رفعا فوهتى مدفعيهما الرشاشين في
وجه (خالد) ، الذى صاح فى خنق :
— ماذا تفعلان بحق الشيطان ؟

ابتسم (رمزي) فى سخرية ، وهو يقول :
— ينفذان أوامر قائدهما يا شيطان الأجيال .. ألم يأمرهما
بمنع أى شخص يريد أن يمسننا بسوء .

خفض (خالد) مسدسه ، وهو يقول فى خنق :
— أهنتك أيها الطبيب النفسى .. لقد أنقذك ذكاؤك هذه

المرّة .

قال (رمزي) فى صرامة :

— وأوقع بك أيضا ، بعد جولة عبر العصور يا شيطان
الأجيال .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (خالد) ، وهو
يقول :

— أوقع بى ؟!.. يا لك من ساذج !
وارتفعت سبابته فى وجه (رمزي) ، وهو يستطرد فى
غضب :

— لن توقع بى أبدا يا رجل القرن الحادى والعشرين ..
قد تنجح فى السيطرة على (هملر) ، أو حتى على (هتلر)
نفسه ، أما أنا فلا .. لا .

ثم اندفع فجأة نحو الباب الجانبى ، الذى دخل منه ، وصاح
(رمزي) فى الجنديين :
— اقتلاه .. اقتلاه .

ولكن الجنديين لم يطلقا رصاصة واحدة ، فقد كان من
العسير عليهما أن يقتلا ثالث رجل فى الرايخ الثالث ، فى حين
تقتضى أوامرها منعه من الإساءة إلى (رمزي) ورفيقه
فحسب ..

ورفع (رمزي) مسدسه الليزرى، وصوبه إلى (خالد) ،
وهو يصرخ :

هـ - اللقاء ..

احتفظ (رمزي) بزى الجنرال النازي ، وهو يجلس إلى جوار (نور) في واحدة من سيارات (الجستابو) ، يقودها (محمود) عبر طرق (باريس) ، وهو يرتدى - مثل (نور) - زي جنود النازية ، وسأل (نور) (رمزي) في اهتمام :

- إلى متى تدوم سيطرتك على (هملر) يا (رمزي) ؟

زفر (رمزي) ، قبل أن يجيبه :

- أعتقد أنه قد استعاد وَغْيَه الآن ، وسيادر بمطاردتنا ولا شك ، ولكنه لن يذكر شيئاً عن مسدس الليزر ، أو وسيلة فرارنا .

سأله (محمود) :

- وماذا عن أوامره بقتل (خالد) ؟

مطّ (رمزي) شفّيه ، وهو يقول في حنق :

- سيتراجع عنها بالطبع .

أوماً (نور) برأسه متفهّماً ، ثم قال في صرامة :

- لن تواصل الفرار أبداً .
ولكن أحد الجنديين أطاح بمسدس (رمزي) بكعب بندقيته ، وهو يصرخ :

- كلاً .. لا تطلق النار على الجنرال .

سقط المسدس تحت قدمي الجندي الثاني ، الذي صوّب مدفعه في وجه (رمزي) ، وهو يقول :

- أرجوك يا سيدي ..

التفت (رمزي) نحو (هملر) وصاح :

- مرهما بقتله .

غمغم (هملر) في شرود :

- اقتلاه .

تبادل الجنديان نظرات الدهشة ، ثم اندفعا خلف (خالد) ، فأسرع (رمزي) يلتقط المسدس الليزري ، ويدسه في جيبه ، ثم التفت إلى (هملر) ، قائلاً :

- هياً .. مر رجالك بإطلاق سراحنا .

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد في صرامة :

- قد ينجو ذلك الشيطان من الحارستين ، ولكنه لن ينجو

منّا أبداً .. أبداً .

— ولكن شيطان الأجيال هذا لن يفلت منّا أبدًا

يا (رمزي) .

ثم استطرد قائلاً :

— قف هنا يا (محمود) .

سأله (رمزي) في توثر :

— ماذا تنوي أن تفعل ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— ستتخلى عن ثياب النازية يا (رمزي) ، فلا ريب أن

نصف جيش (ألمانيا) في (باريس) سيحث عنا بلا رحمة ،

ولا بدّ لنا من وضع خطة محكمة ، وإلا حُكِمَ علينا بالبقاء في

هذا العصر إلى الأبد .

واكتسى صوته بصرامة هائلة ، وهو يستطرد :

— وسأبذل آخر قطرة دم في جسدي ، لأحول بيننا وبين

ذلك .

اتسعت عينا (هملر) في ذهول ، وهو يحدّق في وجه

(خالد) هاتفاً :

— أنا يا عزيزي (فريدريش) ؟! .. أنا أمرت بقتلك ؟!

صاح (خالد) في غضب :

— نعم يا (هملر) .. أنت فعلت ذلك ، وأرسلت

حارسيك لقتلي ، ولكنني بترت عنقيهما ، وعدت إليك .

انقلبت ملاح (هملر) في خيرة ، وهو يقول :

— مستحيل يا (فريدريش) .. مستحيل أن أكون قد

فعلت ذلك .. إنني لا أذكر شيئاً مما حدث يا عزيزي ..

لا أذكر شيئاً على الإطلاق .

عضّ (خالد) شفتيه في غضب ، وقال :

— أعلم ذلك يا (هملر) .. لقد هزمتك ذلك الوغد بعينه

فقط .

غمغم (هملر) في خيرة :

— بعينه ؟!

زفر (خالد) ، وهو يقول :

— دعك من هذا .. لقد رجوا هذه الجولة أيضاً ، ولكننا

سنقلب التاريخ كله رأساً على عقب .

سأله (هملر) في خيرة :

— كيف ؟



غمغم (محمود) في توثر ، وهو يسير إلى جوار (نور) و (رمزي) ،
في أنفاق (باريس) المظلمة

شرد (خالد) ببصره لحظات ، ثم قال في صرامة :
— لا داعي للانتظار بعد الآن ، سنقفز بـ (ألمانيا)
العظمى في طفرة تكنولوجية ، إلى عصر الليزر ، والقنبلة
الذرية .. سنهزم الحلفاء كلهم دفعة واحدة .

غمغم (محمود) في توثر ، وهو يسير إلى جوار (نور)
و (رمزي) ، في أنفاق (باريس) المظلمة :
— هل أنت واثق من أننا سنعثر عليهم هنا يا (نور) ؟
أجابه (نور) في هدوء :
— تمام الثقة يا (محمود) ، فلقد ذكر التاريخ ، بعد نهاية
الحرب العالمية الثانية ، أن رجال المقاومة الفرنسية كانوا
يتخذون أنفاق (باريس) وكراً لهم .
قال (رمزي) :

— هذا صحيح يا (نور) ، ولكن التاريخ ذكر أيضاً أن
هذه الأنفاق تعدّ مقبرة ، لمن يجول فيها بلا هدف ، فهي كثيرة
متشابكة معقدة ، يستحيل الوصول فيها إلى هدف ما ، دون
خريطة واضحة .

٦ - خلف الشيطان ..

اندفعت (سلوى) تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ،
وتفجرت دموع السعادة من عينيها ، وهى تهتف :
- حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله .. لم أتوقع لقاءنا مرة
أخرى أبدًا .. أبدًا يا (نور) .
رَبَّتْ على كفيها فى حرارة ، وهو يقول فى حنان :
- لقد شاء الله (سبحانه وتعالى) أن نلتقى مرة أخرى
يا عزيزتى .
وأبعدها عن صدره ، وتطلّع إلى عينيها ، وهو يسألها فى
مرح :
- ولكن كيف نجحت فى إقناع رجال المقاومة بأننا من
المستقبل .
ضحكت فى مرح ، وهى تقول :
- لقد صنعت لهم تليفزيونًا ، ولقد بهرهم ذلك تمامًا ،
فاعترفوا بأننا من عالم يفوقهم كثيرًا .
هتف (محمود) فى دهشة :
- وكيف أمكنك الحصول على أنبوب (الكاثود) ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

- سنجازف يا (رمزى) .
غمغم (محمود) :
- ولكن يا (نور) ...
قاطعته (نور) فى حدة :
- لا يوجد لكن يا (محمود) .. إن خطر (خالد) لم يعد
يهدف إلى القرن الخامس والثلاثين وحده ، بل إلى تاريخ الأرض
كله ، منذ هذه اللحظة ، وحتى نهاية الزمان .. لو انتصر
(خالد) فسيضيع تاريخنا كله ، وستسقط كل الأجيال
القادمة ، تحت رحمة هذا الشيطان .. كلاً يا (محمود) .
إننا لن نتراجع أبدًا .. لن نتراجع .
ارتفع صوت فجأة بين المرّات المظلمة يقول :
- أهنتك على هذا المبدأ أيها الرائد .
وتألقت أضواء المصابيح اليدوية فجأة ، لتحيل ظلمات
الأنفاق إلى ضوء مبهر ، ظهر على أثره وجه (آلان) ، وهو
يتسم ، مستطرّدًا :
- لقد وصلتم إلى هدفكم يا رجال القرن الحادى
والعشرين .

ضحكت قائلة :

— إننى لم أستخدم أسلوب الإسقاط عَبْرَ أنبوب
(الكاثود) يا عزيزى (محمود) ، لقد قفزت بهم فجأة إلى
التلفزيون ، الذى يعتمد على الإسقاط المباشر .. لقد اقتضت
مقتيات العصر اختصار أجيال من عالم المذياع المرئى .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

— إذن فقد نجونا بواسطة تلفزيون .. يا لها من مهزلة !!

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، ثم قال :

— إننا لم ننج بعد يا رفاق ، فجاتنا .. بل نجاة العالم أجمع

توقف على سعيها خلف الشيطان .. شيطان الأجيال ..

شحب وجه (سلوى) ، وهى تجلس بين رجال المقاومة
الفرنسية ، يستمعون إلى (نور) ، وهو يقص عليهم قصة تحطيم
(خالد) لقرص استدعاء فقاعة الزمن ، وهتفت (سلوى)
في هلع :

— هل تعنى أنه قد حُكم علينا بالبقاء فى هذا العصر إلى

الأبد ؟

غمغم فى مرارة :

— أخشى ذلك يا (سلوى) .

أطرق (رمزى) و (محمود) برأسيهما فى أسى ، فى حين

غمغمت (سلوى) فى ارتياح :

— يا إلهى !!

ران على المكان صمت مطبق ، قبل أن تتألق عينا (نور) ،

ويهتف فجأة :

— ما لم نصل إلى ذلك الشيطان .

ارتفعت إليه كل العيون فى دهشة ، وغمغمت (برجيت)

فى خيرة :

— وبم سيفيدكم ذلك ؟

أجابها فى حماس :

— إنه يمتلك فقاعة زمن أخرى ، يمكن استدعاؤها بواسطة

قرص مماثل يحتفظ به ، ولو أمكننا الحصول على هذا القرص

بمساعدتكم ، فسوف ..

قاطعته (برجيت) بصيحة استكار :

— بمساعدتنا نحن؟! .. من أعطاك هذه الفكرة ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— لا بد من مساعدتكم لنا يا (برچيت) .
هتفت في سخط :

— ومن قال هذا؟! .. إن قضيتكم تختلف عن قضيتنا ..
إنكم تسعون للعودة إلى المستقبل ، أما نحن فنحارب من أجله .
تدخّل (آلان) هاتفاً :

— ثم إننا نضمن النصر ، كما يقول تاريخكم .
ازداد انعقاد حاجبي (نور) ، وهو يقول في حدة :
— لا تكن واثقا هكذا يا (آلان) .. لقد أخطأت
(برچيت) حينما قالت : إن قضيتنا تختلف عن قضيتكم ،
فكلانا يسعى لهدف واحد ، فلو ظل هذا الشيطان طليقا ،
فسينجح في قلب التاريخ الذي نعرفه رأسا على عقب ، ولن
تهزم (ألمانيا) النازية أبداً ؛ لذا فمن الضروري أن نتحد معا ؛
لنظفر نحن بالرجل ، وتظفرون أنتم بالنصر والخريّة .
ساد الصمت والوجوم لحظات ، ثم التفت (آلان) إلى
رفاقه ، وهو يقول في حزم :

— إنه على حق .
ثم اتجه نحو (نور) ، ووضع يده على كتفه في قوّة ، وهو
يقول في لهجة رجل حسم أمره :

— أنا في صفك .

دارت (برچيت) بعينها في وجه رجال المقاومة ، وقرأت
بخبرتها الجواب في ملامحهم ، ثم التفت إلى (نور) ، وهي
تقول في حزم :

— كلنا في صفك .

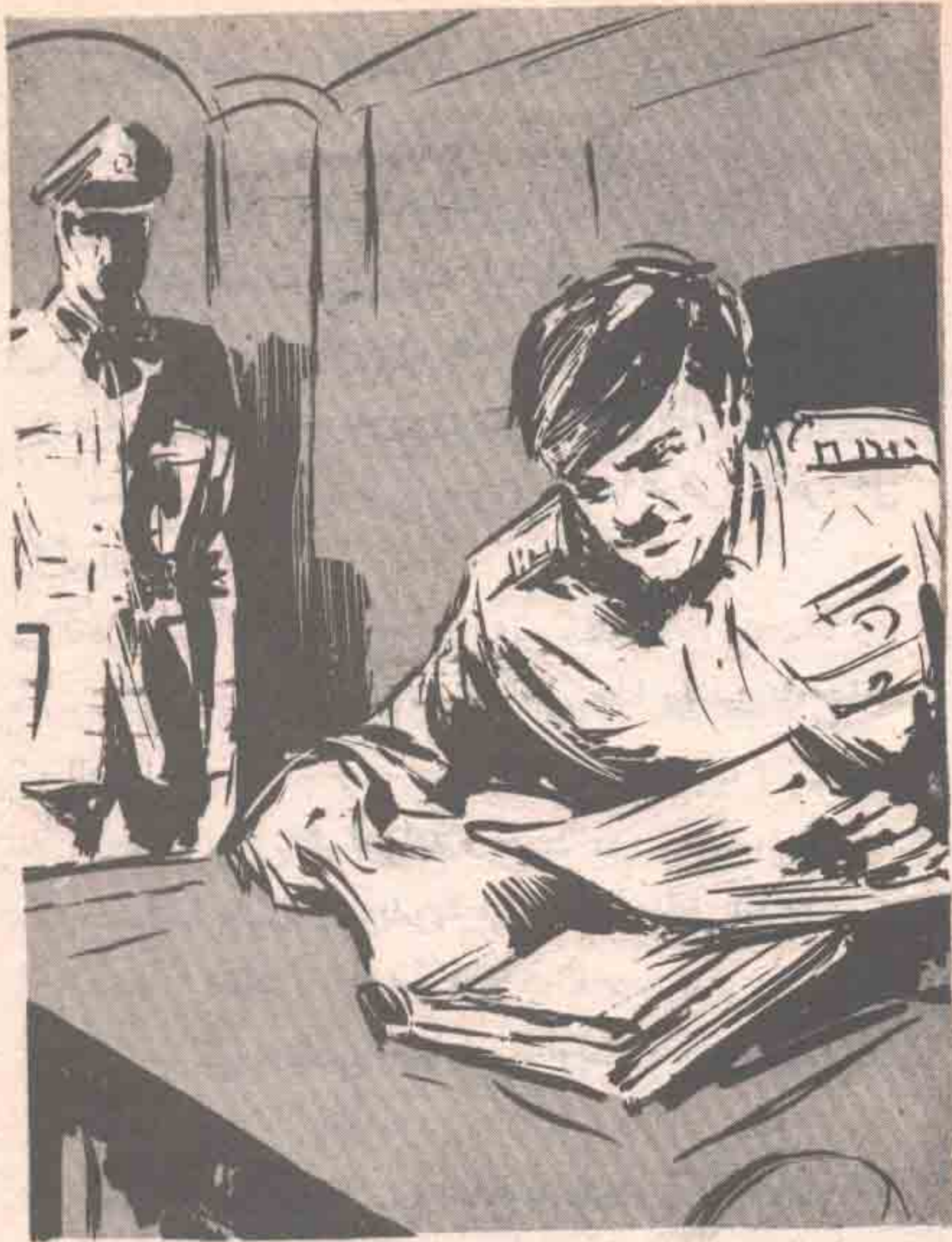
تنفّست (سلوى) الصعداء ، وتنهّد (رمزي)
و (محمود) في ارتياح ، في حين ابتسم (نور) وهو يقول :

— كلنا سنعمل في صف واحد .
وامتلاً صوته بالفخر والحماس ، وهو يستطرد :

— وسنسمى جميعاً خلف شيطان الأجيال .

عبر (خالد رضوان) حجرة مكتب (أدولف هتلر)
بخطوات واسعة ، وتوقّف أمام زعيم النازية ، الذي قاد نصف
العالم يوماً ، ورفع ساعده أمامه بالتحية ، وهو يهتف في حماس :

— هايل هتلر .
رفع (هتلر) راحته في عظمة ، ثم أرخى يده إلى جواره ،
ومطّ شفتيه مبرّزا شاربه القصير ، قبل أن يقول في صرامة :



تألقت عينا (أدولف هتلر) في شغف لم ينتقل إلى صوته ، الذي ظل جامدا
صارما ، وهو يتناول الملف ، ويقلب أوراقه في هدوء

— سمعت أنك تطلب مقابلي يا (فريدريش) .. ماذا
لديك ؟

أجابه (خالد) في هدوء :

— سلاح سيغير مصير (أوروبا) .. بل العالم أجمع أيها
(الفوهرلر) .

ارتفع حاجبا (هتلر) في اهتمام واضح ، إلا أن صوته ظل
على صرامته ، وهو يسأله :

— أي سلاح هذا ؟

وضع (خالد) أمامه ملفا ضخما ، وهو يقول :

— هاهو ذا ياسيدي (الفوهرلر) .. إنهما سلاحان في

الواقع : أحدهما يعتمد على تكثيف طاقة الضوء في خيط واحد

مدمر ، أطلقت عليه اسم (ليزر) ، والآخر قبلة ، تعتمد على

الانشطار النووي المتسلسل ، أطلقت عليها اسم (القبلة

الذرية) ، والقبلة الواحدة يمكنها أن تطيح بـ (لندن) كلها

في ضربة واحدة .

تألقت عينا (أدولف هتلر) في شغف لم ينتقل إلى صوته ،

الذي ظل جامدا صارما ، وهو يتناول الملف ، ويقلب أوراقه

في هدوء ، قائلا :

— هذا أعجب ما سمعت يا (فريدريش) .. هل أنت واثق

من قولك هذا ؟

ابتسم (خالد) في سخرية ، وقال :

— التصميمات بين يديك يا سيدي (الفوهلر) .

أوماً (هتلر) برأسه في بطاء وهدوء ، ثم أغلق الملف ،

ووضعه أمامه ، وهو يقول في لهجة تُوجى باللامبالاة :

— لا بأس يا (فريدريش) .. سأعرض الأمر على

الخبراء .

قال (خالد) في هدوء :

— إننى أرغب فى الإشراف على هذا بنفسى يا سيدي

(الفوهلر) .

أجابه (هتلر) فى صرامة :

— فيما بعد يا (فريدريش) .. هذا سابق لأوانه .

أوماً (خالد) برأسه ، قائلاً :

— سأكرر مطلبى حينما يحين الوقت المناسب يا سيدي

(الفوهلر) .

مطاً (هتلر) شفثيه ، وأشاح بوجهه ، وكأنما يعلن انتهاء

المقابلة ، فرفع (خالد) ذراعه أمامه ، وهتف :

— هايل هتلر .

ثم دار على عقبه فى حركة عسكرية ، وغادر مكتب

(هتلر) فى خطوات واسعة ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة

ساخرة ، وهو يحدث نفسه ، مغمغماً :

— اذهب إلى الجحيم يا رائد القرن العشرين ، لقد وضعت

اللبنه الأولى فى لعبة تغيير التاريخ .

استمع رجال المقاومة فى اهتمام إلى خطبة (هتلر) الرثانة ،

التي نقلها إليهم جهاز (سلوى) ، عن مذيع (برلين) ، ثم

هتفت (برچيت) فى توثر :

— يبدو أن توقعاتك قد صدقت أيها الرائد (نور) .. لقد

أعلن (هتلر) فى خطبته أن (ألمانيا) قد أصبحت تملك سلاحاً

سرياً ، ويهدد باستخدامه ضد (أوروبا) كلها ، إذا ما جرؤت

القوات المشتركة على الهبوط فى (فرنسا) .

ارتجف صوت (آلان) ، وهو يقول :

— هل يعنى هذا أن تغيير التاريخ قد بدأ ؟

هزاً (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى هدوء :

— ليس بعد .. لقد نقلت كتب التاريخ في عصرنا خطبة
(هتلر) هذه ، وتهديداته للعالم كله باستخدام السلاح
السري ، الذي يحتفظ به في المخزن رقم ثلاثة عشر ، ولكنه لم
يستخدمه أبداً ، ولم يعرف عنه أحد شيئاً ، حتى بعد هزيمة
(ألمانيا) .

قالت (سلوى) في توثر :

— ولكن هذا يعني أن شيطان الأجيال اللعين قد سلم
(هتلر) تصميمات بعض أسلحة المستقبل ، ولو نجح (هتلر)
في صنع هذه الأسلحة ، فلن تصمد أمامه جيوش الحلفاء كلها .

تهتد (نور) في عمق ، قبل أن يقول :

— ينبغي أن نقاتل لمنع حدوث ذلك يا عزيزتي .

سألته (برجيت) في انفعال :

— كيف !؟

عقد حاجبيه ، وهو يفكر في عمق ، ثم قال في هدوء :

— إننا نحتاج إلى نقطتين أيها السادة .. أولاهما : اجتذاب

ذلك الشيطان (خالد رضوان) إلى هنا ، وثانيتها : منع

(هتلر) من تنفيذ أسلحة المستقبل .

هتفت (برجيت) في توثر :

— مازال سؤال سارياً .. كيف ؟

شبك (نور) أصابع كفيه أمام وجهه ، واسترخى في

مقعده ، والتزم الصمت طويلاً ، ثم قال في هدوء :

— أعتقد أننا سنلعب اللعبتين في آن واحد يا رفاق .

ونهمض وهو يستطرد في حماس :

— سنحوّلها إلى حرب تكنولوجية ، وسندفع (خالد)

دفعاً إلى الوصول إلى (باريس) ، وعن طريقه سنحطم سلاح

النازي السري الجديد .

وتألفت عيناه ، وهو يردد :

— سنبدأ نحن بصنع أسلحة المستقبل .



كانت الأمطار تهطل في غزارة ، في تلك الليلة من ليالي شتاء (باريس) ، حينما عبر رجل وفتاة الطريق ، تحت المطر المنهمر ، واتجهوا إلى مخزن ضخيم ، يحتل ناصية كاملة ، في أطراف (باريس) ، وطرق بابه طرقات هادئة ، ومضت فترة من السكون ، قبل أن يطل وجه رجل مسنّ من فتحة باب المخزن ، ويتطلّع إلى وجهي الرجل والفتاة ، ثم يفسح لهما الطريق في صمت ، فيدلفان إلى الداخل في سرعة ، ويفلقان الباب خلفهما في إحكام ..

وخلعت الفتاة معطفها المبلّل بمياه الأمطار ، وهي تتطلّع إلى الهيكل المعدني ، الذي انهمك أكثر من عشرة رجال في وضع اللمسات الأخيرة له ، والتفتت إلى (نور) تسأله في اهتمام مشوب بالقلق :

— هل أنت واثق من نجاح هذا الشيء ؟

أوماً (نور) برأسه ، وهو يقول :

— تمام الثقة يا عزيزتي (برجيت) .. إنه سيكون صدمة

لرجال القوات الجوية الألمانية ، وسيثير ذهولهم إلى أقصى حد .

سأله (آلان) ، وهو يخلع معطفه المبلّل بدوّره :

— وماذا عن (فريدريش) ؟

ابتسمت (سلوى) ، وهي تحيب :

— هو وحده سيفهم ما يحدث ، وسيُهرع إلى هنا ، في

محاولة لمنعنا من تحطيم خطته .

تطلّع (آلان) إلى الهيكل المعدني في ريبة ، فتدخل

(محمود) ، قائلاً :

— دعك من الشكل الخارجي يا (آلان) .. إنه إنجاز رائع

أن نصنع هذه الطائرة في أسبوع واحد ، ولولا تضافر نصف

سكّان (فرنسا) لصنعها ، ما تمّ إنجازها في مثل هذا الوقت ،

ولكنها تسير بسرعة الصوت ، أي بخمسة أضعاف سرعة

طائرات الراج الثالث ، وهي مزوّدة بمدفعي ليزر ، وجهاز

موجات فوق صوتية ، كفيل بإيقاف كل المحرّكات ، ولقد

زوّدتها عزيزتنا (سلوى) بمجال كهرومغناطيسي قوي ،

سيحيط بها كدرع يدرأ عنها رصاصات الطائرات الأخرى ،

وقنابل المدفعية المضادة للطائرات .

غمغم (آلان) في سخط :
— لست أفهم حرفاً واحداً من كل هذا .
ابتسم (رمزي) وهو يقول :
— اطمئن يا عزيزي (آلان) .. ستفلاح خطتنا .

عقدت (برجيت) حاجبها ، وهي تقول في قلق :
— وماذا لو كان النازيون قد بدءوا في صناعة أسلحة
المستقبل بالفعل ؟

— صباح جميل يا صديقي .. أليس كذلك ؟
أجابه زميله في هدوء :
— بلا شك يا صديقي .. إنها تبدو جولة عادية .. أليس
كذلك ؟

هز (نور) رأسه نفياً ، وهو يقول في ثقة :
— مستحيل يا عزيزتي (برجيت) .. إن صنع أسلحة
المستقبل يحتاج إلى استعدادات وتقنيات صناعية ضخمة ، من
المستحيل أن يتم إنجازها في ذلك الزمن القصير .
غمغمت (برجيت) في قلق
— أتعشم ذلك .

ضحك (هانز) ، قبل أن يقول :
— كل جولتنا في سماء باريس عادية يا عزيزتي
(رالف) .. إن طائرات الحلفاء لن تجرؤ على ولوج سماء ،
تخلق فيها نسور النازية .
جاءته إجابة (رالف) على هيئة شهقة قوية ، قبل أن
يهتف :

تنهد (نور) ، وابتسم قائلاً :
— اطمئن يا عزيزتي (برجيت) ، غداً ستحطم الفطرسية
الألمانية ، في سماء المعركة .

— (هانز) .. احترس .. هناك طائرة ان ..
بتر (رالف) عبارته قبل أن يتمها ، إذ عجز عن تحديد
هُوية تلك الطائرة ، التي بدت له عجيبة الشكل والتكوين ،
فائقة السرعة ، إلى حدّ أذهله ، وألجم لسانه ، في حين جاء ردّ

فعل (هانز) سريعاً رائعاً ، فدار بطائرته في سرعة ، ليواجه
الطائرة المهاجمة ، وأطلق عليها سيلاً من رصاصات مدفعه
الرشاش ، دون أن يعبا بتحديد هويتها أو قوتها ، ولقد أقسم
لنفسه - في تلك اللحظة - أن رصاصاته قد أصابت جسد
الطائرة العجيبة ، إلا أنها لم توقف اندفاعها نحوه ، وبدا جسدها
سليماً ، وكأنها لم تمسسه الرصاصات ، مما أصابه بذهول ،
جعله يتوقف عن إطلاق رصاصات مدفعه ، وهو يهتف :

- يا للشيطان !!

وفجأة انطلق من جانبي جسم الطائرة شعاعان من الليزر ،
أصابا جسم طائرته ، فاشتعلت فيها النيران ، وهو يكرر
صارخاً :

- يا للشيطان !!

أما زميله (رالف) فقد اتسعت عيناه في ذهول ، وهو يرى
طائرة (هانز) تهوى من حلق ، وهي تجر خلفها خيطاً من
الدخان الأسود ، وفكر ألف مرة في التراجع والانسحاب ،
أمام تلك الطائرة المعجزة ، التي حطمت كل مفاهيمه عن تطور
الطائرات المقاتلة ، ووسائل قتال نسور الجو ، إلا أن كرامته ،
واعترازه بنفسه ، كمقاتل في قوات النازية ، جعلاه ينقض على

الطائرة العجيبة في بسالة ، ويطلق رصاصات مدفعه الرشاش
نحوها ..

وانحرفت الطائرة ، التي يقودها (نور) ، في سرعة
ومهارة مذهلتين ، بالنسبة لطيار من منتصف القرن العشرين ،
وارتفعت فوق رأس (رالف) ، ثم استدارت لتأتي من خلفه
في سرعة ، جعلته يهتف في ذعر :

- يا إلهي !! لقد التقط ذيل طائرتي .. لن أنج منه أبداً .

إلا أن (نور) لم يطلق دفقة واحدة من مدفعي الليزر في
طائرته ، نحو طائرة (رالف) ، بل اكتفى بمطاردتها ،
مستعرضاً كل إمكانات طائرته ، فأخذ يدور حول طائرة
(رالف) ، وأمامها ، ثم يعود ليحلق فوقها ، ويتعقبها مرة
أخرى ، حتى ارتفعت في سماء المعركة عشر مقاتلات ألمانية
أخرى ، انطلقت لموازرة (رالف) ..

هنا فقط بدأت المعركة الحقيقية ..

لقد استخدم الطيارون الألمان كل مهاراتهم ، وخبراتهم
الحربية ، إلا أن طائراتهم بدت لـ (نور) كسلاحف بطيئة ،
وهو الذي اعتاد قيادة سيارته بسرعة خمسمائة كيلومتر في
الساعة ، في القرن الحادي والعشرين ..

ولم تستغرق المعركة طويلاً ..
ففى أقل من عشر دقائق ، كان (نور) قد أسقط المقاتلات
العشر ..

وأبقى على (رالف) ..
أبقى عليه ؛ لأنه كان يحتاج إلى شاهد ..
شاهد يؤكد أن التفوق الألماني قد تحوّل إلى دُعابة تثير
السخرية ، فى سماء (باريس) ..

كان من الواضح أن (أدولف هتلر) يتميز غضباً ، حينما
استقبل (خالد) فى مكتبه هذه المرّة ، وهو يقول فى عصبية :
— من أين سرقت تلك التصميمات ، التى أعطيتى إياها
يا (فريدريش) ؟

اتسعت عينا (خالد) فى دهشة ، وهو يهتف :

— سرقتها؟! .. إنها تصميماتى أنا .

ضرب (هتلر) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصيح فى

غضب :

— إذن فقد تسرّب سرّ تصميماتك يا (فريدريش

هولدشتاين) .. لقد سبقنا الأمريكيون أو البريطانيون ، فى

صنع ذلك السلاح الضوئى .



ولم تستغرق المعركة طويلاً .. ففى أقل من عشر دقائق ،

كان (نور) قد أسقط المقاتلات العشر

٨ - في مواجهة الشيطان ..

« لقد وصل (فريدريش) إلى (باريس) .. »
نطق (آلان) هذه العبارة في انفعال واضح ، وانتقل
انفعاله إلى الجميع ، فتبادلوا نظرات حماسية ، قبل أن يقول
(نور) :

— الآن يمكننا أن نضرب ضربتنا .

غمغمت (سلوى) في قلق :

— هل تظن أنه سينتظر هجومنا ؟

أوماً برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. لقد أكد لي (رمزي) أنه سيفعل ، وسيستعد

لمواجهتنا بكل ما يمكنه من وسائل .

ثم التفت إلى (رمزي) يسأله :

— هل تظن أنه سيحمل قرص استدعاء فقاعة الزمن معه ؟

أوماً (رمزي) برأسه إيجاباً ، وقال :

— إنه لن يتخلى عنه أبداً ، فهو بمثابة طوق النجاة الأخير له .

تنفس (نور) الصعداء ، وهو يقول :

— عظيم .

هتف (خالد) في ذهول :

— ماذا تقول يا سيدي (الفوهلر) ؟

ألقي إليه (هتلر) بثلاثة تقارير كبيرة ، وهو يهتف في

غضب :

— اقرأ هذا .

وحدّجه بنظرة قاسية غاضبة ، وهو يقرأ التقارير في لهفة ،

حتى هتف :

— يا للشيطان !! .. لقد سبقني ذلك الرائد .

سأله (هتلر) في عصبية :

— أي رائد هذا يا (فريدريش) ؟ .. هل هزمتك مخابرات

الخلفاء هذه المرّة ؟

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول محتدّاً :

— إنني أعرف مَنْ فعل هذا يا سيدي (الفوهلر) ،

وأعرف كيف أوقفه عند حدّه .

لوح (هتلر) بذراعه في سخط ، وهو يقول :

— كيف ؟

اكتسب صوت (خالد) صلابة الفولاذ ، وقسوة

الصُّلب ، وهو يقول :

— سأسافر إلى (باريس) يا سيدي (الفوهلر) .. الليلة .

سأله (برجيت) في اهتمام :

— ما خطتك هذه المرة أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— إن (خالد) ، أو (فريدريش) ، يتوقع منا هجومًا

تكنولوجيًا يا عزيزتي (برجيت) ، ولكننا سنفاجئه .

وتألفت عيناه ، وهو يردف في هدوء .

— سبأته بخطة تقليدية ، و ... ونقتصه .

وقف (خالد) يتطلع من نافذة حجرته إلى (باريس)

طويلاً ، قبل أن يقول في صرامة ، دون أن يلتفت إلى ضابط

(الجستابو) ، الذي يقف وسط الحجرة في احترام :

— هل أصدرت أوامرك بشأن حماية مقرى هذا، أيها

الضابط ؟

أجابه ضابط (الجستابو) :

— نعم يا سيدي الجنرال .. لقد نفذت أوامرك حرفيًا ،

ووضعت الأجهزة التي سلمتها إياها في الأماكن المحددة .

ثم تجاسر على أن يردف في اهتمام :

— ما هذه الأجهزة العجيبة يا سيدي ؟

أجابه (خالد) في بساطة :

— مستقطبات ليزرية أيها الضابط .. لا تحاول أن تفهم ،

فهذا يفوق إدراكك ، ولكنني تعلمت هذه الخدعة من ذلك

الرائد وفريقه .

هزَّ ضابط (الجستابو) رأسه ، وقد عجز عن الفهم ،

وغمغم في هدوء :

— ما دمت ترى ذلك ، فهو صحيح يا سيدي الجنرال .

ثم عاد يسأله في اهتمام :

— كيف تتوقع الهجوم يا سيدي ؟

تنهَّد (خالد) ، وأجاب :

— سيهاجمون بآلات عجيبة ، تطلق أشعة ضوئية قاتلة أيها

الضابط ، ولكنهم سيفاجئون بأن مستقطباتي الليزرية

ستمتصها .. كل ما عليك أن تفعله في هذه اللحظة ، هو أن

تهاجم ألهم بكل رجالك ، وكل قوتك ، وأحضر لي هؤلاء

الأوغاد أحياء .

مرة أخرى عجز رجل (الجستابو) عن فهم هذه الألغاز ،

فاكتفى بأن أوماً برأسه ، مغمغماً :

— كما تأمر يا سيدي الجنرال .

وفجأة تألق بريق شرس في عيني (خالد) ، وهو يحدّق في شيء ما عبر الطريق ، وقال في انفعال :

— هيا أيها الضابط لقد بدأ الهجوم .

كانت هناك سيارة عجيبة الشكل ، بالنسبة لهذا العصر ، تتجه نحو الفندق في سرعة ، ولم يكد (خالد) ينطق بعبارته ، حتى اندفع من مقدّمها شعاع ضوئي ، وصرخ هو في مزيد من الانفعال :

— هيا أيها الضابط .. إنها المعركة .

وقف (خالد) يتابع المعركة في شغف وتوتر فائقين ، ورأى أشعة الليزر تنحرف نحو مستطباته الليزرية ، فاختلج قلبه في ظفر ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة شرسة شامتة ، حينما رأى كل حراسه ينقضون على السيارة العجيبة ، ويمطرونها برصاصاتهم ، وغمغم ساخرًا :

— يبدو أنكم ستذوقون الهزيمة هذه المرّة ، يا رجال القرن الحادي والعشرين .

فاجأه صوت أكثر سخرية ، يقول :

— لست أظن ذلك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

لجمّدت الدماء في عروق (خالد) ، واستدار إلى مصدر الصوت في حركة حادّة ، واتسعت عيناه في ذهول ، وتراجع في دُغر ، وهو يهتف :

— أنتم؟!

كان أمامه (نور) وفريقه كله ، يصوبون إليه أسلحتهم ، فاستطرد في مزيج من الدهشة والحنق :

— كيف وصلتم إلى هنا ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— من أعلى أيها الوغد .. لقد خدعناك ، وخدعنا رجالك بسيارة هيكلية ، يتم تحريكها بالتحكّم الآلي عن بُعد ، وهبطنا نحن من سقف المبنى المجاور ، إلى سقف هذا المبنى ، وقام أصدقاؤنا من رجال المقاومة الفرنسية باحتلال السقف ، والسيطرة على حراسه ، وهبطنا نحن لنحظى بك .

ظلّ (خالد) يحدّق في وجوههم طويلًا في ذهول ، ثم ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفثيه ، وهو يقول :

— إذن فقد ربّحتم هذه الجولة أيضًا أيّها السادة .

٩ — تذكرة إلى الفشل ..

كان الدهول من نصيب (خالد) هذه المرة ، عندما لم يستجب له القرص ..

لقد كان يتوقع أن تحيط به فقاعة الزمن ، ذات الجدران المضادة لكل أنواع الأسلحة ، فور ضغطه على القرص ..
إلا أن هذا لم يحدث ..

واتسعت عيناه في جزع وذهول ، وهو يكرر ضغطه على القرص عشرات المرات ، حتى قالت (سلوى) في سخرية :
— لا تحاول يا شيطان الأجيال .. نحن أيضا نستفيد من الأخطاء السابقة .

أكمل (محمود) عبارتها قائلاً :

— لقد أدركنا أن ذلك القرص يرسل نوعاً من الإشارات فوق الصوتية ، التي تأتي بفقاعة الزمن ؛ لذا فقد حرصنا على أن نثبت في جدار حجرتك ، منذ لحظات ، جهازاً خاصاً ، من اختراع عزيزتنا (سلوى) ، تنحصر مهمته في تشتيت موجة الاستدعاء ، وتخويرها ، فلا تأتي الفقاعة أبداً .

اتسعت عينا (خالد) في ذعر وذهول ، وهو يغمغم :

أجابه (نور) :

— بل المعركة كلها هذه المرة يا شيطان الأجيال .
أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— يالك من مغرور !!

ثم ضغط قرص استدعاء فقاعة الزمن في غضب وحزم ..





واتسعت عيناه في ذعر ، حينما رأى (نور) يلتقط القرص في سرعة ،
فصاح في مرارة : — مستحيل !.. مستحيل !

— مستحيل !.. مستحيل !

اقرب منه (نور) ، وهو يقول في سخرية :

— لقد خسرت المعركة هذه المرة أيها الشيطان .

صاح (خالد) في غضب :

— ولن تربحوها يا رائد القرن الحادى والعشرين ، سنبقى

جميعاً في هذا الزمن .

وفي غضب وثوراة ، ألقى القرص أرضاً ، واندفعت قدمه

لتحطمه تحطيمًا ..

كان المستحيل أن يفقد (نور) الوسيلة الوحيدة ، لعودتهم

إلى زمنهم ، هذه المرة ..

إنه لم يكده يلمح (خالد) ، وهو يلقي القرص أرضاً ، حتى

اندفع نحوه بكل إصراره ورغبته في الخروج من الضياع ..

وقبل أن تمس قدم (خالد) القرص بجزء من الثانية ، هوت

لكمة (نور) على فكه ، فألقته أرضاً ، واتسعت عيناه في

ذعر ، حينما رأى (نور) يلتقط القرص في سرعة ، فصاح في

مرارة :

— مستحيل ! . مستحيل !

وزاغت عيناه في محجريهما ، حينما قال (نور) في صرامة :

— والآن ماذا نفعل بك ؟

لوح الشيطان بذراعه في رُعب ، وهو يهتف :

— لا تقتلني .. لا تقتلني .

جلس (نور) في هدوء على المقعد المقابل له ، ومطأ شفتيه ،

وهو يقول :

— ولكنك تعلم مثل أن فُقاعة الزمن لا تتسع لأكثر من

أربعة أشخاص ، ونحن أربعة ، أنا وفريقي ، ثم إننا لا نستطيع

تركك هنا ، وإلا كان هذا يعنى فشل المهمة ، التي جئنا من

أجلها ، وجئنا العصور سعيًا وراء نجاحها .

أُسمعت عينا (خالد) في رُعب ، وهو يقول :

— ولكنك تكره القتل والدمار أيها الرائد .. أليس

كذلك ؟

هز (نور) كتفيه ، وهو يقول :

— لا يوجد حلٌ بديل .

وصمت لحظة ، تأمل خلالها آيات الرُعب ، المرثيمة على

وجه (خالد) ، قبل أن يقول في حُبث :

— إلا إذا ..

تعلق (خالد) بهذه الكلمة ، كما يتعلق غريق يائس بآخر

أمل للنجاة ، وهتف :

— إلا إذا ماذا ؟

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتي (نور) ، وهو يقول :

— سأخبرك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. سأخبرك

إلا إذا ماذا

شعر ضابط (اچستابو) بالدهشة والخيرة ، حينما وجد

السيارة العجيبة بلا قائد ، وغمغم في توثر :

— كيف كانت تسير إذن ؟

وعقد حاجيه ، محاولاً فهم ما يحدث في تلك الليلة

العجيبة ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه في يأس ، وقال في سخط :

— لا ريب أن الجنرال (فريدريش) يعلم .

وأسرع الخطا عائداً إلى حجرة (خالد) ، ولم يكذبها ،

ويرى أفراد الفريق ، الذين يجلسون إلى جواره ، حتى انتزع

مسدسه ، وتراجع هاتفاً في جزع :

— سيدي الجنرال !؟

— وداعًا أيها الأصدقاء .. سيرافقكم الضابط إلى
الخارج .
تبادل (نور) نظرة ارتياح مع (رمزي) ، ثم أجاب في
هدوء :

— وداعًا يا جنرال (فريدريش) .. وداعًا إلى الأبد ..
واطمان قلبه إلى أن (خالد رضوان) قد حصل على
تذكرته إلى المحطة النهائية ..
تذكرة إلى الفشل ..



كان (خالد) يبدو شاردًا ، وهو يرفع كفه قائلاً :
— لا عليك أيها الضابط .. إنهم أصدقاء .
تردد ضابط (الجستابو) لحظات ، فأردف (خالد) في
شروء :

— إنهم من رجال مخابراتنا هنا .
كانت الإجابة تكفي لبث الارتياح في نفس ضابط
(الجستابو) ، فأعاد مسدسه إلى جرابه ، وهو يقول :
— هناك شيء عجيب يحدث هنا يا سيدي الجنرال .
أجابه (خالد) :

— أعلم ذلك أيها الضابط .. لقد انتهى كل شيء .. لقد
كانت تجربة لفاعلية وسائل الأمن .. مرّ رجالك بتحطيم تلك
السيارة ، ونسف بقاياها ، مع الأجهزة التي زرعتها في أنحاء
المبنى .

رفع ضابط (الجستابو) حاجبيه في دهشة ، ثم أجاب في
استسلام :

— كما تأمر يا سيدي الجنرال .
نهض (خالد) في هدوء ، وقال لـ (نور) ورفاقه في
شروء :

تهللت أساريير (برجيت) ، وهي تهتف في سعادة :
— إذن فقد نجحت مهمتكم .. عاد التاريخ يسير في مجراه الطبيعي .

أجابها (نور) في ارتياح :
— نعم يا عزيزتي (برجيت) .. لقد انتهى كل شيء على ما يرام .

سأله (آلان) في خيرة :
— ولكن كيف فعلتم ذلك ؟
أشار (نور) إلى (رمزي) ، وهو يقول في اعتزاز :
— هو سيخبرك ، فهو البطل هذه المرة .
ابتسم (رمزي) في فخر ، وهو يقول :

— لقد استخدمت معه التنويم المغناطيسي يا عزيزي (آلان) .. لقد كان خائفًا ، مهزومًا حتى أنه كان يرغب في الوقوع تحت تأثيره ، ما دام هذا هو البديل الوحيد لقتله .. وبعد أن سيطرت على عقله ، جعلته ينسى من هو ، ومن أين جاء . جعلته ينسلخ عن القرن الخامس والثلاثين ، الذي أتى

منه ، ويجيا بكيانه وذاكرته في ذلك العصر ، الذي سيبقى فيه إلى الأبد .

غمغم (آلان) في خيرة :

— لست أفهم شيئًا .

ابتسم (رمزي) ، وهو يقول :

— باختصار يا صديقي ، لقد انتهى (خالد رضوان) إلى

الأبد ، ولم يعد هناك سوى (فريدريش هولدهشتاين) فقط .

هتف (آلان) في سخط :

— وهل تعدّ ذلك نصرًا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— إنني أكره سفك الدماء يا (آلان) .

مطّ (آلان) شفثيه ، وهو يغمغم :

— إننا في حرب .

تجاهل (نور) عبارته ، والتفت إلى (برجيت) ، قائلاً :

— بقيت نقطة أخيرة يا (برجيت) .. إن معرفتكم بما

حدث تحلّ بتطور الأحداث الطبيعي في التاريخ ؛ لذا فلا ينبغي

أن يذكر أحدكم ما حدث أبدًا .

أجابته (برجيت) في إخلاص :

— إننا ندرك ذلك ، ولقد حطّمنا كل الأسلحة الحديثة ،

التي صنعتموها هنا .

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

— هذا لا يكفي يا عزيزتي .

سألته في خيرة :

— ماذا تريد إذن ؟

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— سيمحو (رمزي) كل ما حدث من ذاكرتكم .. هذا

ختمي .

تردّدت طويلًا ، وحاولت أن تعترض ، إلا أنها غمغمت

في استسلام :

— فليكن ، ما دام هذا حتميًا .

ثم أسرعت تستدرك :

— ولكنّ هناك نقطتين ، أحب أن استوضحهما أولًا .

سألها (نور) في هدوء :

— ما هما ؟

سألته في لهفة :

— كيف سيمكنكم العودة إلى المستقبل ، ما دمتم تجهلون

أسلوب قيادة فقاعة الزمن ؟

أجابها في هدوء :

— سنعكس البرنامج ، فنعود بنا الفقاعة إلى العصر ، الذي

انطلقت منه ..

سألته في اهتمام :

— وماذا عن أسلحة المستقبل ، التي أعطى (فريدريش)

تصميماتها إلى (هتلر) ؟

أجابها (نور) :

— هو نفسه سيفسد التصميمات دون أن يدري ، لقد

أمره (رمزي) بإدخال تعديلات تفسدها ، بحيث يعجز الراجح

الثالث عن صنعها ، حتى تنتهي الحرب .

تنهّدت في ارتياح ، وقالت :

— الآن يمكنكم أن تمحوا كل شيء من ذاكرتنا ، ما دامت

الحرب ستنتهي بالنصر ، وبالحرية لمعشوقتنا (باريس) .

كان لقاء حارًا في مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية

المصرية ، في القرن الخامس والثلاثين ..

لقد استقبل (نور) وفريقه في حرارة بالغة ، واستمع إلى

قصتهم في ارتياح ، ثم لَوْح بكفه ، قائلاً في لهجة تحمل كل الاعتذار .

— يوسفنى أنا اضطررنا لإخفاء أمر السفر عبر الزمن عنكم أيها السادة ، فهكذا تقتضى القوانين ، فلو أن أهل العصور الماضية قد أدركوا تلك الحقيقة العلمية العجيبة ، ما اطمأن أى منهم إلى يومه ومستقبله .

سأله (سلوى) :

— هل كنت واثقاً من نجاحنا ، على الرغم من أنك لم تجربنا بذلك ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

— عودتكم وحدها تؤكد نجاحكم يا سيدي ، فلو نجح هذا الشيطان في مهمته ، لانقلب التاريخ كله رأساً على عقب ، وما كنا نحن هنا .

قال (نور) في هدوء :

— ومن قال إن التاريخ لم يتغير ؟

رفع القائد الأعلى حاجبيه ، قائلاً :

— كل شيء يؤكد ذلك يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— هل لديك إذن كتب تتحدث عن محاكمات (نورمبرج) (*) ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

— بالطبع .. إننا نحترم الكتب والثقافة كثيراً في هذا العصر ، على الرغم من انتشار كل وسائل الترفيه المتطورة للغاية .

ثم ضغط بضعة أزرار على مكتبه ، فتحرك جزء منه ، كاشفاً فجوة صغيرة ، برز منها كتاب أنيق ، تناوله القائد الأعلى في رشاقة ، في حين غمغمت (سلوى) :

— إننى لم أتوقع أبداً أن أجد كتباً في هذا القرن .

مطَّ القائد الأعلى شفطيه ، مغمغماً :

— متعة القراءة لا تزول أبداً ، مهما بلغت الحضارة يا سيدي .. إنها على العكس .. تضاعف .

وناول الكتاب إلى (نور) ، مستطرداً :

(*) نورمبرج : مدينة شمال (بافاريا) ، على نهر (بيجيز) في (ألمانيا) ، أقيمت بها محاكمة دولية لجرمى الحرب العالمية الثانية ، بعد انتصار الحلفاء ، وأدين فيها معظم جنرالات (هتلر) ، ممن بقوا على قيد الحياة بعد الهزيمة .

— ها هو ذا .. ماذا تتوقع أن تجد فيه ؟

قلب (نور) صفحات الكتاب في هدوء ، حتى توقف عند نقطة ما ، وأشار إليها ، قائلاً :

— هذا .

اتسعت عينا الجميع في دهشة ، وهتف القائد الأعلى في ذهول :

— مستحيل !! لقد قرأت هذا الكتاب أكثر من عشر مرّات ، ولم تكن هذه الصورة هنا أبداً .

استرخى (نور) في مقعده ، وابتسم ، وهو يقول :

— ألم أقل لك يا سيدي ؟ .. لقد تغير التاريخ .

وعاد الجميع يحدّقون في تلك الصورة ، التي تحمل وجه (خالد رضوان) ، وتحتها كلمات تقول :

— الجنرال (فريدريش هولشتاين) .. حوكم كمجرم

حرب ، وأدين ، وتم تنفيذ الحكم بإعدامه عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين .

هتفت (سلوى) :

— يا إلهي !! لقد نال ما يستحقّه .

أوماً (نور) برأسه ، وهو يقول :

— لقد أحدث التغيّر الذي كان يشده في التاريخ

يا (سلوى) ، وأضاف صورته إلى كتبه .

تنهّد (رمزي) ، وهو يغمغم :

— يا لها من نهاية !!

ران على الجميع صمت طويل ، قبل أن يقول (نور) :

— أعتقد أنه قد آن الأوان لنعود إلى زمننا أيها القائد .

هتفت (سلوى) :

— نعم .. لا ريب أن (نشوى) ابتنا تفقدنا كثيراً ..

مطّ القائد الأعلى شفّيه ، مغممًا :

— لست أظن ذلك .

سأله في دهشة :

— كيف ؟! .. لقد قضينا هنا ما يقرب من شهر كامل و ..

قاطعها القائد الأعلى لخبايرات المستقبل ، وهو يقول في

هدوء :

— وما قيمة الزمن يا سيدي ؟

أدركت ما يرمى إليه ، فغمغمت في شرود :

— نعم .. ما قيمة الزمن ؟

كانوا يتناولون مشروبًا لذيذ الطعم ، حينما سأهم القائد

الأعلى :

— ما رأيكم في الإقامة هنا في عصرنا ؟
تبادلوا النظرات ، ثم قال (نور) :
— أعتقد أننا نفضل العودة إلى زمننا يا سيدي و
شعر فجأة بدوار يكتفه ، فحُذق في أكواب المشروب ،
وهو يغمغم :
— ماذا وضعتم في مشروبنا ؟
عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :
— لا شيء أيها الرائد .. لا شيء .
هتف (نور) :
— بل لقد وضعتم مخدراً .. لقد ..
تلاشى كل شيء أمامه فجأة ، وغاب مع رفاقه في غيوبة
عميقة ، في نفس اللحظة التي دلف فيها (طاهر)
و (سليمان) إلى حجرة القائد الأعلى ، الذي قال في حزن :
— كم يؤسفني أن أفعل هذا بكم يا أبطال القرن الحادي
والعشرين ، ولكنه القانون ..
سأله (طاهر) في هدوء :
— هل نعيدهم إلى عصرهم يا سيدي ؟
تنهد قبل أن يقول :



استيقظت (سلوى) من نومها فجأة ، على صوت بكاء
ابنتها (نشوى) ، فأسرعت إلى حجرتها تطمئنها ، وقضت
عندها بعض الوقت ، حتى عادت الصغيرة إلى النوم ، فسأللت
(سلوى) على أطراف أصابعها ، وعادت إلى حجرتها ،
فوجدت (نور) مستيقظًا ، يسألها في تكاسل :

— ماذا هناك ؟

ابتسمت وهي تقول :

— مجرد حلم .. لقد عادت إلى النوم على الفور .

تنهد وهو يقول :

— بمناسبة الحلم .. لقد حلمت أننا قد ذهبنا إلى الماضى

والمستقبل و ..

قاطعته فى دهشة :

— يا إلهى !!.. لقد انتابنى الحلم ذاته .

أثسعت عيناه ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. هل يحتمل أن ...؟

قفز من الفراش ، وتطلع إلى النتيجة الضوئية على الحائط ،

ثم عقد حاجبيه ، مغمغماً :

— النتيجة تؤكد أننا لم نغادر المنزل أبدًا .

عاد إلى فراشه فى خيرة ، ولبث صامتًا بعض الوقت ، ثم
سألها فجأة :

— متى أويانا إلى فراشنا يا (سلوى) ؟

عقدت حاجبها فى محاولة يائسة للتذكر ، ثم غمغمت فى
خيرة :

— عجبًا !!.. لست أذكر ذلك .

أجابها فى اهتمام :

— ولا أنا .. آخر ما أذكره هو أننا كنا نشاهد

الهولوقيزيون فى حجرة المعيشة .

هتفت فى دهشة :

— وأنا أيضًا .

ثم أردفت فى خيرة :

— عجبًا !!.. متى أويانا إلى فراشنا إذن ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وتطلع فى شرود إلى سقف

الحجرة ، وطال صمته ، قبل أن يسألها فى هدوء :

— ماذا تذكرين من ذلك الحلم يا (سلوى) ؟

هزت رأسها ، وهى تقول :

— أشياء عجيبة متفرقة .. بلاط فرعونى ، وقلعة قديمة ..
 أكمل فى هدوء :
 — ومدينة أمريكية من القرن التاسع عشر ، و (باريس)
 فى الحرب العالمية الثانية .
 هفت فى دهشة :
 — هذا صحيح .. كيف عرفت ؟
 أو ما برأسه ، وهو يقول :
 — ربّما كان نوعًا من توارد الخواطر يا عزيزتى .
 هفت فى رية :
 — (نور) .. هل تظن أن .. ؟
 قاطعها فى هدوء :
 — لست أظن شيئًا يا عزيزتى .. عودى إلى النوم .. إنه
 يداعب جفونى فى إصرار .
 ثم ابتسم مستطردًا :
 — ومهما كان الأمر ، فنحن فى عصرنا ، ووطننا ، وهذا
 يكفى .
 وحينما استغرق فى النوم ، كانت تعلو شفّته ابتسامة ..
 ابتسامة ظفر ..

[تمت بحمد الله]
 باسسل

١٠١



عقد (نور) حاجيه ، وتطلّع فى شرود إلى سقف الحجره ، وطال
 صمته ، قبل أن يسألها فى هدوء :
 — ماذا تذكرين من ذلك الحلم يا (سلوى) ؟